**محاضرات اللغة العربية دراسة تطبيقية**

**السنة الأولى ماستر فقه مالكي**

**المقياس: اللغة العربية دراسة تطبيقية**

**الأستاذة: مغني حنان**

**مواصلة لمحاضرة خصائص الأسلوب القرآني**

**الجملة:** هي تركيب إسنادي بين فعل وفاعل أو مبتدأ وخبر، وتمثل الجملة مظهرا من مظاهر الكلام فهي:"الصورة النفسية للتأليف الطبيعي" ،وذلك مما احتوى عليه كتاب الله تعالى،فالقرآن الكريم هو تأليف الله عز وجل وكلامه المنزه الذي لا يرقى إلى مثل تركيبه أحد من البشر،يقول الرّافعي:"وإنّما أطرد ذلك للقرآن من جهة تركيبه الذي انتظم أسباب الإعجاز من الصوت في الحرف،إلى الحرف في الكلمة،إلى الكلمة في الجملة."يقول الله تعالى:( **الر كِتابٌ أُحكِمَت آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَدُن حَكيمٍ خَبيرٍ"**،و"ذلك خير ما توصف به الجملة القرآنية فهي بناء قد أحكمت لبناته،ونسقت أدق تنسيق،لا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها،أو تنبو عن موضعها،أولا تعيش مع أخواتها،حتى صار من العسير بل من المستحيل أن تغير في الجملة كلمة بكلمة،أو أن تستغني فيها عن لفظ أو أن تزيد فيها شيئا." والباحث في القرآن الكريم يجد بأنّ الجملة القرآنية تحدد بالآية القرآنية لأنّ الآية القرآنية ما هي إلاّ عبارة عن بنية تركيبية محكمة العناصر اسمية كانت أو فعلية مؤلفة من كلمات وحروف ذات أصوات يستريح لتآلفها السّمع،ويتكون من اجتماعها نظم نسقي جميل ينطوي على إيقاع موسيقي خلاب. ينظر من بلاغة القرآن لأحمد بدوي

 وقد وقف الكثير من العلماء قديما وحديثا عند الجملة القرآنية مستنبطين من ذلك وجها من أهم الوجوه الإعجازية التي تفرد بها النّص القرآني،وهو ما يمكن أن نصطلح عليه بمصطلح الإعجاز النّحوي أو الإعجاز التركيبي ، ويقصد بالإعجاز الترّكيبي هي تلك التّراكيب النحوية الفريدة التي تفرد بها القرآن الكريم عن غيرها من تراكيب البشر.

 وهذا الإعجاز التّركيبي هو ما اصطلح عليه عبد القاهر الجرجاني"471 ه" **بمصطلح النّظم** حيث نجده يقول:"فخبرونا عنهم،عماذا عجزوا؟أعن معان من دقة معانيه وحسنها وصحتها في العقول؟أم عن ألفاظ مثل ألفاظه؟فإن قلتم:عن الألفاظ فماذا أعجزهم من اللفظ أم ما بهرهم منه،فقلنا أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه،وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها،ومجاري ألفاظها ومواقعها.فالجرجاني يرى بأنّ إعجاز القرآن يكمن في ذلك التّناسق في النّظم و"ليس النّظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو،وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك،فلا تخل بشيء منها.

**النظم في القرآن الكريم** :ويقصد بالنّظم في اللغة:التّأليف،نظمه ينظمه نظما،فانتظم،ونظمت اللؤلؤ:أي جمعته في السّلك ومنه نظمت الشّعر ونظّمته:كل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض.

**أمّا اصطلاحا**:فقد اتفق البلاغيون وعلماء اللغة على أنّ النّظم هو:"تنسيق دلالة الألفاظ وتلاقي معانيها بما تقوم عليه من معاني النّحو المتخيرة والموضوعة في أماكنها على الوجه الذي يقتضيه العقل."

 وقد ظهرت فكرة النّظم منذ بواكير الدّراسات الإعجازية ،ونضجت وتأصلت معالمها مع إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني(ت471ه) الذي جعل من هذا النّظم مناط الإعجاز القرآني والتّحدي والتفاضل بينه وبين كلام بلغاء العرب وقد توصل علماء البلاغة والإعجاز بعد طول مسيرة إلى أنّ نظم القرآن الكريم هو نظم مخصوص متفرد عن نظم كلام البشر،حيث أنّ القرآن الكريم"يجري على نسق بديع،خارج عن المعروف والمألوف من نظام كلام العرب،فهو لا تنطبق عليه قوافي الشعر،كما أنه ليس على سنن أسجاع النثر." فالأسلوب القرآني يظل جاريا على نسق واحد من السّمو والرّفعة،من جمال اللفظ ودقة الصّياغة وروعة الترّكيب وعمق المعنى،رغم تنوع موضوعاته واختلافها،وهذا يمكن أن نسميه بالإعجاز النّصي على اعتبار أنّ القرآن الكريم نص متكامل. ومن أمثلة النّظم في القرآن الكريم قوله تعالى:( **وَقيلَ يا أَرضُ ابلَعي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقلِعي وَغيضَ الماءُ وَقُضِيَ الأَمرُ وَاستَوَت عَلَى الجودِيِّ وَقيلَ بُعدًا لِلقَومِ الظّالِمينَ)سورة هود الآية 44**

 وقد حلل عبد القاهر الجرجاني الآية الكريمة تحليلا تفصيليا،مبرزا روعة الإعجاز وحسن النّظم،حيث يقول:"...فتجلى لك منها الإعجاز،وبهرك الذي تسمع،إنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذا الكلم بعضها ببعض،وإلا لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية،والثالثة بالرابعة وهكذا إلى أن تستقر بها إل آخرها،وأن الفضل تناتج ما بينها،وحصل من مجموعها. فهو يرى بأنّ الكلمة تتخذ صفة الفصاحة بانضمامها إلى سياق الكلام،ثمّ يواصل تفسيره للآية على ضوء علم المعاني مشيرا إلى أن مبدأ الإعجاز والعظمة يتجلى في نداء الأرض وأمرها بالأداة(يا)دون غيرها مثل(أي)لأنها غير مناسبة مع المقام ولا يتحقق بذلك لا الحسن ولا الغرض ،كذلك إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال إبلعي الماء،كما نادى الله سبحانه وتعالى الأرض وأمرها بما هو من شأنها ثم نادى في مقابل ذلك السماء وأمرها بما يلائمها،ثم قال:"وغيض الماء"فجاء الفعل على صيغة"فُعل"الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة قادر وأكد ذلك بقوله تعالى:وقضي الأمر،ثم ذكر ماهو فائدة هذه الأمور وهو"استوت على الجودي"،حيث أضمر السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن،ليختم في الأخير سبحانه وتعالى بمقابلة قيل في الخاتمة بقيل في الفاتحة.

وهذه الآية الكريمة ماهي إلا نموذجا واحدا من بين نماذج عديدة في القرآن الكريم التي تبين نظم القرآن البديع ونسقه العجيب.

 ومن هذا المنطلق فإنّ خصائص النّظم القرآني تكمن في:ذلك الكلّ المجتمع بدءا من تناسب الحروف إلى اختيار الألفاظ وتلاؤمها وصولا إلى اتساقها في تراكيب ذات معان دلالية.

 وبهذا نستنتج بأنّ النّظم القرآني نوعان:

-نظم جزئي :وهو الذي يشمل جزئيات الآية القرآنية أو السّورة.

-نظم كلي: وهو الذي يظهر في جميع القرآن باعتباره نصا عاما.

 **ومن خصائصه:**

-التّناسب والتّناسق بين عناصره(الحروف-الألفاظ-الجمل).

-الدّقة وحسن الاختيار.

-التّوافق والجرس الموسيقي الخلاب.

-الدّلالة على المعنى.

 وخلاصة القول: إنّ النّظم القرآني هو ذلك النّظم الإلهي المتفرد الخارج عن ما عهدته العرب وألفته من نظمها، وهذا ما عده العلماء الوجه الإعجازي للقرآن الكريم.

الإعجاز بالنظم=إعجاز حرفي(صوتي) + إعجاز لفظي(معجمي+صرفي) + إعجاز جملي(تركيبي).

**\*السّياق عند البلاغيين:**انطلق البلاغيون في دراستهم لمفهوم السّياق من العبارة المشهورة:لكل مقام مقال.

 هذه العبارة التي لطالما تصادفنا بها منثورة على كتب الأدب والشّعر أو على كتب اللغة والبلاغة ،من ذلك قول الحطيئة:

تحنن عليّ هداك المليك فإنّ لكل مقام مقال

 إذن:لقد تناول البلاغيون مفهوم السّياق انطلاقا من المقولة المشهورة:لكل مقام مقال،وأسسوا على ذلك مفهومهم للبلاغة،حيث أنّ البلاغة:"هي الكلام الذي يصيب معناه بوضوح وسلامة مع خلوه من التلطف والفضول ومراعاته لمقتضى الحال. والمقصود بمقتضى الحال عند البلاغيين هو تلك السّياقات المقامية.

 ومما لا شك فيه أنّ اهتمامهم بالسيّاق يعود إلى القرآن الكريم ، حيث دعتهم ضرورات إعجازه البلاغي إلى الوقوف على أجزائه اللغوية داخل النّص ومراعاة تلاؤم بعضها ببعض(السياق اللغوي)،بالإضافة إلى ( السّياق المقامي) ومراعاة المقام ومقتضيات الحال (غرض الآية أو السّورة)وتناسبها مع النّص

 ولعل من أهم الأمور التي راعاها المفسرون في تفسير كتاب الله تعالى قضية السّياق،حيث كـــــــــــــان المفسر لا يفسر الآيات القرآنية ويفهم دلالتها إلاّ باعتبار مراعاة سياقها الكلي،والدّليل على ذلك ما روي عن مسلم بن يسار أنّه قال:"إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده."

 وعرفه كذلك الدّكتور المثنى عبد الفتاح محمود فقال: "السّياق القرآني تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية،لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال."

 وعرفت الدكتورة ماجدة صلاح حسن السّياق القرآني بقولها:"السياق القرآني هو جزء من السياق بعمومه في معناه العام...وهو علاقة اللفظ مع ما قبله وما بعده من الآيات وما يكسبه من معنى في هذا الموضع أو في موضع آخر،وسبب النزول والجو العام الذي نزلت فيه الآية." وخلاصة القول:فإنّ السّياق القرآني هو تلك الأغراض الرّبانية التي انبنت عليها السّور والآيات القرآنية بعد انتظامها في أنساق لفظية وتركيبية.

 والسّياق القرآني نوعان:

**-سياق لغوي(مقالي):**ويظهر من خلال تلك القرائن اللغوية المنسجمة داخل النّص القرآني من ألفاظ وعبارات وتراكيب منسقة أدق تنسيق.

سياق غير لغوي(مقامي،حالي):ويظهر من خلال القرائن المقامية والحالية من ظروف وملابسات خاارجة عن النّص القرآني كمراعاة أحوال المخاطب والجو العام للسّورة وأسباب النّزول.

**المحاضرة الثانية:الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم**

 **تعريف الإعجاز:لغة:**تضاربت الآراء حول الجذر الأصلي لكلمة إعجاز فهناك من يرجعها إلى أصل الفعل الثلاثي عجز ، وهناك من يرجعها إلى الفعل الرباعي أعجز، فعجز عجزا أي ضعف وقصر وتأخر،أمّا أعجز إعجازا سبق وفات وفاز .

**اصطلاحا**: الإعجاز القرآني هو إثبات عجز البشر متفرقين ومجتمعين على الإتيان بمثل القرآن الكريم،أو إظهار صدق النّبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة ، وهي القرآن الكريم وعجز الأجيال بعدهم.

وقد تعددت أوجه الإعجاز القرآني من ذلك الإعجاز بالصرفة، الإعجاز التشريعي ، الإعجاز التأثيري ، الإعجاز الغيبي ، الإعجاز العلمي... وغيرها ، لكن الإعجاز المتفق عليه هو **الإعجاز البلاغي** ، فالقرآن الكريم كان آخر الكتب السماوية وفي نفس الوقت كان المعجزة المؤيدة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والتي اقتضت حكمة الله عزوجل أن تكون معجزة لغوية بلاغية من نفس جنس ماعرف به هؤلاء العرب.

والإعجاز البلاغي هو تلك البلاغة القرآنية المتفردة في ألفاظها وأساليبها ومعانيها، والتي عجز العرب على الإتيان بمثلها رغم أنها مستوحاة من لغتهم العربية التي درجوا عليها، أو يمكن القول هو الإعجاز الذي وقع به التحدي الرباني لأرباب البلاغة والبيان وهذا مااتفق عليه أهل العربية والدراسات القرآنية ، وإن اختلفت التسمية فبعضهم يطلق عليه اسم الإعجاز البياني ، والبعض الآخر الإعجاز اللغوي ، والأخر الإعجاز بالنظم، ومع اختلاف التسمية يبقى المقصد واحد فالقرآن الكريم كتاب الله تعالى الجامع لفنون البلاغة الحاوي لأطراف البيان والفصاحة محكم في نظمه حتى أنك تحسب ألفاظه لجمالها منقادة لمعانيه والعكس صحيح.

وعلى هذا الأساس يذهب معظم البلاغين والمهتمين بالدراسات الإعجازية إلى القول بالإعجاز البلاغي وعلى ضوء هذا الإعجاز نشأت وتأسست علوم البلاغة ومباحثها والتي كانت بدايتها في التفاسير وكتب الإعجاز وعلوم القرآن الكريم من ذلك:

معاني القرآن للفراء (ت207 ه)

مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى(209ه)

تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة(276 ه)

إعجاز القرآن للباقلاني(403ه)

دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني(471ه)

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل(538ه)

مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي(606ه)

ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : النكت في إعجاز القرآن للرماني (386ه)،بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي(388ه)،الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني(471ه)

**المحاضرة الثالثة:الأسلوب البلاغي وأثره في تفسير القرآن الكريم**

 يعد علم التّفسير من أهم العلوم التي اهتمت باستنباط خصائص الأسلوب القرآني ،وراعت ذلك في فهم كتاب الله تعالى،باعتباره معجزة بلاغية بالدّرجة الأولى ، إذ لا يمكن لأيّ كان من البشر أن يدرك مكامن تلك الهداية الرّبانية والبلاغة الإعجازية إلاّ إذا وقف وقفة متأنية مع سور القرآن الكريم وآياته متدبرا متأملا مستنبطا.

**والتفسير في اللغة** : مأخوذ من مادة فسّر،الفسر:البيان،فسر الشيء يفسره بالكسر،ويفسر بالضم

فسرا،وفسّره:أبانه،والتّفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل ،واستفسرته كذا أي سألته أن يفسره لي.

 ويفهم من هذا بأنّ التّفسير في اللغة بمعنى البيان والكشف والوضوح ،وقد وردت لفظة التّفسير مرة واحدة في القرآن الكريم،وذلك في قوله تعالى:( **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا )سورة الفرقان الآية 33**

**أمّا اصطلاحا :** كثيرون من عرفوا التفسير من هؤلاء الإمام الزرّكشي (794ه) قال:"التّفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم،وبيان معانيه،واستخراج أحكامه وحكمه،واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات،ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ".

 ومما لا شك فيه أنّ النّبي-صلى الله عليه وسلم-كان المفسر الأول لكتاب الله تعالى،ثمّ الصحابة والتّابعين وتواليهم من سدنة القرآن وأهله إلى يومنا هذا،مما خلف لنا خزانة تفسيرية تزخر بمختلف التّفاسير وما حصدته عقول أولي الألباب في فهم كتاب الله تعالى، وقد تعددت مناهج التفسير وطرقه من أشهرها:

**\*التّفسير بالمأثور:**ويقصد به:"ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصّحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه"، ويعـــــــــــــد التّفسير بالمأثور من أحسن أنواع التّفسير،يقول ابن كثير:"إنّ أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن،فما أجمل في مكان فإنه قد يبسط في موضع آخــــــــــــــــــــر،فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحــــــة للقرآن وموضحة له.

**التّفسير بالرّأي:**والمــــــــــــــــــــراد بالرأي الاجتهاد ،أي التّفســـــــــــــير بالاجتــــــــــــــهـــــــــــاد حيث إن"الاجتـــــــــهاد والرأي،والاستنباط،والعقل،كلها مصطلحات تدل على مدلول واحد عند علماء علوم القرآن،وقد غلب مصطلح الرّأي على هذه المصطلحات.

 ولما كان التّفسير بالرّأي يقوم على اجتهادات بشرية معرضة للغلط والخطأ،اشترط العلماء شروطا في المفسر بالرّأي أجملها الدكتور محمد حسين الذّهبي في كتابه التفسير والمفسرون حيث قال:"وكثير من الصّحابة كان يفسر بعض آي القرآن بهذا الطريق،أعني طريق الرأي والاجتهاد،مستعينا على ذلك بما يأتي:

أولا:معرفة أوضاع اللغة وأسرارها.

ثانيا:معرفة عادات العرب.

ثالثا:معرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن.

رابعا:قوة الفهم وسعة الإدراك

 تبيّن لنا بأنّ أول شرط يشترط في المفسر بالرّأي هو الدّراية باللغة العربية على اعتبار أنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين"فمعرفة اللغة العربية وأسرارها تعين على فهم الآيات التي لا يتوقف فهمها على غير لغة العرب.

**التفسير اللغوي**:تعد اللغة القاسم في جميع التفاسير لأنها الوسيلة الأساسية لفهم كتاب الله تعالى الذي نزل بلسان عربي مبين .وقد أعطى مساعد الطيار في كتابه التفسير اللغوي مفهوما للتفسير اللغوي فقال:"بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب"

ويقصد بلغة العرب ألفاظها وأساليبها التي نزل بها القرآن

وهناك فرع من فروع التّفسير اللغوي وهو التّفسير البياني" البلاغي" وقد عرفه الدكتور فاضل صالح السامرائي بقوله:"وأمّا التّفسير البياني فهو التّفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني"

 ويرى بأنّ هذا النوع من التّفسير"هو جزء من التّفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير".

 وعلى الرّغم من أنّ المفسرين القدامى لم يطلقوا هذه التّسمية على تفاسيرهم إلاّ أنّ هذا لم يمنع من أن متونها تثبت بأنّ هؤلاء المفسرين كانوا يسعون من خلال تفسيرهم لكتاب الله عز وجل إلى إبراز الجمال البياني الذي يظهر من خلال نظم الآيات وإدراك وجوه التّناسق بين الألفاظ والكلمات وتناسبها مع دلالة السّياق. بل هذا المنهج في التّفسير كانت بوادره ظاهرة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام،وأشهر من عرف عنه ذلك ترجمان القرآن وحبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه حيث كان يفسر القرآن الكريم تفسيرا لغويا مستندا في ذلك على أشعار العرب لمعرفة الألفاظ والتراكيب الغامضة في القرآن الكريم وحذا حذوه في المنهج تلامذته كمجاهد وغيره.

 فقد فقه الرّعيل الأول بأنّ المعجزة القرآنية معجزة بيانية تجمع أمورا جملتها النظم الفريد العجيب الحسن المخالف لأساليب العرب،والصور البيانية التي تؤلف أبدع تأليف بين أفصح الألفاظ الجزلة وأصح المعاني الحسنة.

 فاتجهت عنايتهم إلى فهم هذه الوجوه البيانية التي تفرد بها كتاب الله تعالى ثمّ تبعتهم طائفة من المسلمين عبر عصور مختلفة إلى يومنا هذا مبحرة في تفسير القرآن الكريم من خلال استخراج واستنباط لآلئ البيان والنّظم البديع التي تفرد به كتاب الله الكريم.

**3-أشهر الذين كتبوا في التّفسير البلاغي:**

 تبنى هذا المنهج البياني كثير من المفسرين منذ بواكير الدّراسات الإسلامية التي أقبلت على خدمة كتاب الله تعالى فهما وتدبرا وتوضيحا من ذلك:

-معاني القرآن للفراء(ت207ه).

-مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى(ت210ه).

-تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة(ت276ه)

 تفسير الكشاف للزمخشري(ت538ه) ويعد من أهم التّفاسير التي أولت عناية للبلاغة والبيان في تفسير القرآن الكريم،حيث اعتنى الزّمخشري في تفسيره على إظهار تلك الثّروة البلاغية المبثوثة في القرآن الكريم،والتي تعد أصل إعجازه،"وليس عجيبا أن يكون الكشاف...هو أول كتاب في التفسير الذي كشف لنا على سر بلاغة القرآن،وأبان لنا عن وجوه إعجازه،وأوضح لنا دقة المعنى الذي يفهم من التركيب اللفظي،كل هذا في قالب أدبي رائع،وصوغ إنشائي بديع لا يتفق لغير الزمخشري إمام اللغة وسلطان المفسرين.".

 لكن على الرّغم من عناية المفسرين بالجانب البلاغي في تفسير القرآن الكريم،وعلى كثرة التّفاسير التي تطرقت إلى هذا الأمر،إلاّ أننا لم نجد تفسيرا واحدا يحمل عنوانا بالتفسير البلاغي أو البياني إلاّ في العصر الحديث.

 وبهذا يمكن القول بأنّ التّفسير البياني مصطلح حديث برز مع النـــــــــــــهضة الأدبية الإسلاميـــــــــــــــة في العصر الحديث،حيث أقبلت نخبة من خيرة العلماء على تبني هذا المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم تفسيرا لغويا أدبيا أمثال:

-محمد الأمين المختار الشنقيطي(ت1393ه-1974م) في تفسيره أضواء البيان .

-عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ(ت1419ه-1998م)،في تفسيرها المعنون بالتّفسير البياني للقرآن الكريم.

-فاضل السامرائي في تفسيره على طريق التّفسير البياني.

 وغيرها من التّفاسير الأخرى التي اهتمت بالجانب البياني للقرآن الكريم كتفسير سيد قطب في ظلال القرآن،وارتأينا ذكر هذه التّفاسير لما تحمله من عناوين توضح بأنّها فسرت القرآن من بابه البياني والبلاغي الذي هو أصل الإعجاز القرآني.

 وقد دعا هؤلاء المفسرون إلى ضرورة التّفسير البياني للقرآن الكريم والنّهوض به،واشترطوا في ذلك شروطا نجملها في الآتي:

\*التبحر في علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة باعتبار "أنّ العربية هي لغة القرآن فنلتمس الدلالة اللغوية الأصلية التي تعطينا حس العربية للمادة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية،ثم نخلص للمح الدلالة القرآنية باستقراء كلّ ما في القرآن من صيغ اللفظ،وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة وسياقها العام في القرآن كله."

\*من ضوابط التّفسير البياني الاعتماد على التّناول الموضوعي لما يراد فهمه من كتاب الإسلام ويبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس ويراعى ترتيبها وتناسبها.

\*معرفة أسباب النزول وكل ما يحيط بالنّص القرآني من ملابسات وأحوال.

 وبهذه الشّروط مجملة تتحقق بلاغية التّفسير لكتاب الله عز وجل

**المحاضرة الرابعة:علوم البلاغة ومباحثها:**

علوم البلاغة ثلاثة حسب تقسيمات البلاغيين المتأخرين وهي:

**علم المعاني:** اتخذ أغلب الباحثين البلاغيين علم المعاني وأبوابه واجهتهم الأولى في دراستهم لعلوم البلاغة الثلاث ، واتفقوا على أنه أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال،بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له.

 وينص موضوع علم المعاني على دراسة اللفظ العربي من حيث إفادة المعاني الثّواني،ويقصد من هذه الأخيرة المعاني الثّواني-أنّها تلك الأغراض التي يساق لها الكلام ومنها جاء مقتضى الحال

ومباحث علم المعاني من شأنها أن تبين لنا وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها،كما ترينا أن القول لا يكون بليغا كيفما كانت صورته حتى يلائم المقام الذي قيل فيه،ويناسب حال السامع الذي ألقي عليه.

**مباحثه**: وحصر علماء البلاغة مباحث علم المعاني في الآتي:

-أحوال الإسناد الخبري والإنشائي.

-أحوال الطرفين(المسند والمسند إليه)والمتعلقات من المفعول وغيره من الفضلات:التقديم والتأخير، الذكر والحذف، التعريف والتنكير،الإطلاق والتقييد

-أحوال الجملة في ذاتها واستقلاله:الإطناب والإيجاز والمساواة، الفصل والوصل،أسلوب القصر.الالتفات ، المخالفة في صيغ الأفعال، وضع المضمر موضع الظاهر والعكس.

**علم البيان:**البيان اسم جامع لكل شيئ يكشف لك القناع وهتك الحجاب دون الضمير،حتى يفضي السامع إلى حقيقته،ويهجم على محصوله كائنا ماكان ذلك البيان،ومن أي جنس كان الدليل،لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام،فبأي شيئ بلغت الإفهام أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع.

أما علم البيان فهو :"أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق تختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى"

**مباحثه:**

التشبيه،المجاز العقلي والمرسل، الاستعارة ، الكناية.

**علم البديع:** هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة وتكسوه بهاء ورونقا بعد مطابقته لمتضى الحال ووضوح دلالته على المراد

 **مباحثه:** حصر علماء البلاغة محاسن البديع في صنفين: أحدهما على حساب المعنى وسموا ذلك بالمحسنات البديعية المعنوية ،وثانيهما على حساب اللفظ وسموا ذلك بالمحسنات البديعية اللفظية.

**أهم مباحث البلاغة القرآنية:** كثيرة هي مباحث الإعجاز والبلاغة القرآنية ويصعب علينا في هذا المقام الوجيز عدّها جميعا وحصرها لذلك سنتوقف على بعض نماذجها باختصار ونحاول أن نقف على مبحث أو مبحثين من كل علم على سبيل المثال لا الحصر.

**أهم مباحث البلاغة القرآنية في علم المعاني**

**أولا: التّقديم والتّأخير**: أتى القرآن الكريم بنظم محكم،وبناء جيد السّبك،حيث وضع كل لفظة في موضعها الصّحيح،وإن اختلف الموقع،وهذا ما تنبه إليه علماء الإعجاز،والباحثين في البلاغة القرآنية،وأطلقوا عليه باب التقديم والتأخير، ويعد من أهم مباحث علم المعاني.

 وكان الإمام عبد القاهر الجرجاني أحسن من تكلم في هذا الأمر في كتابه دلائل الإعجاز ،حيث أفرد له بابا كاملا استهله ببيان فضل التّقديم والتّأخير في الكلام،فيقول:"هو باب كثير الفوائد،جم المحاسن،واسع التصرف،بعيد الغاية،لا يزال يفتر لك عن بديعة،ويفضي بك إلى لطيفة...تنظر فتجد سبب أن راقك،ولطف عندك،أن قدم فيه شيئ،وحول اللفظ عن مكان إلى مكان."

كما أشار إلى أهمية التقديم والتأخير ابن الأثير(ت 630ه) في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر وعدّه من أهم سمات الأسلوب القرآني مقدما نماذج عن ذلك كقوله تعالى:( **وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِير الْعَزِيزِ الْعَلِيم وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)سورة يس الآية 39\_37**

 ويعقب ابن الأثير على هذا قائلا:"والقمر قدرناه منازل"،ليس تقديم المفعول فيه على الفعل من باب الاختصاص،وإنما هو من باب مراعاة نظم الكلام،فإنه قال:"الليل نسلخ منه النهار"،ثم قال:"والشمس تجري"فاقتضى حسن النظم أن يقول"والقمر قدرناه"،ليكون الجميع على نسق واحد في النظم،ولو قال:وقدرناه منازل لما كان بتلك الصورة في الحسن

والتّقديم والـتّأخير في النّظم يكون للدلالة على أغراض يقتضيها المقام ويفرضها السّياق لأسباب ذكرها الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن :

1\_ أن يكون الأصل هو التّقديم ولا مقتضى للعدول عنه كتقديم الفاعل عن المفعول والمبتدأ على الخبر.

2\_أن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى كقوله تعالى:""سورة غافر28 فإنه لو أخر قوله "من آل فرعون" فلا يفهم أنه منهم.

3\_أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب فيقدم مراعاة للتوافق والفواصل مثل قوله تعالى:" **وَاسْجُدُوا لِلَّـهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** " فصلت37 فقدمت إياه على تعبدون للتناسب.

4\_ للتعظيم والاهتمام والأولوية: يقول تعالى:" وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ "البقرة 43 فبدأ بالصلاة لأنها أهم من الزكاة.

5\_ الاختصاص: وذلك كتقديم المفعول على الفعل مثل قوله تعالى:" **إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** " سورة الفاتحة آية5

6\_ السبق: كتقديم الأزواج على الذرية مثل قوله تعالى:" **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** " سورة الفرقان الآية 74

7\_التّقديم بالشرف:وذلك لشرف المقدم وعلو مرتبه وعلى هذا نجد في مواطن كثيرة في القرآن الكريم،أن الله سبحانه وتعالى يقدم اسمه المنزه للدلالة على علوه وقدرته سبحانه وتعالى، وهذا ما وجدناه أيضا في سورة هود من ذلك قوله عز وجل:

( **إِلَى اللَّـهِ مَرجِعُكُم وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ) سورة هود آية4**

8\_التّقديم الزّمني قوله تعالى:" **وَيا قَومِ لا يَجرِمَنَّكُم شِقاقي أَن يُصيبَكُم مِثلُ ما أَصابَ قَومَ نوحٍ أَو قَومَ هودٍ أَو قَومَ صالِحٍ وَما قَومُ لوطٍ مِنكُم بِبَعيد"** فقد ذكر الله سبحانه وتعالى القوم المنكرين الجاحدين بعبادته وفق ترتيب زمني لبعثة أنبيائه عليهم السّلام،فقدم قوم نوح عليه السّلام لأنّه أول نبي أرسله الله لهداية البشر،ثمّ أتبعه بذكر قوم هود عليه السّلام،ثمّ قوم صالح عليه السّلام،ثمّ قوم لوط

9\_التقديم المكاني: تتقدم الكلمة في القرآن الكريم وفق ترتيب تفرضه أولية المكان وأسبقيته نحو قوله تعالى:( **وَهُوَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ في سِتَّةِ أَيّامٍ وَكانَ عَرشُهُ عَلَى الماءِ لِيَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلتَ إِنَّكُم مَبعوثونَ مِن بَعدِ المَوتِ لَيَقولَنَّ الَّذينَ كَفَروا إِن هـذا إِلّا سِحرٌ مُبينٌ"** فقد تقدم ذكر السّماوات على الأرض لأنها المكان الأول الذي خلقه الله سبحانه وتعالى،ثم ذكر الأرض باعتبارها المكان الثاني.

**ثانيا:الذّكر والحذف:** يعد أغلب البلاغيين الذكر ضربا من الإطناب،ولم يلق منهم اهتماما وعناية مثل نظيره الحذف لأنهم لم يروا فيه لطائف البلاغة ومزاياها ، لكن هناك من قال به ورأى بأنه من أساليب التعبير القرآني التي فيها من الإعجاز والبلاغة مالاينقص عن غيره من الأساليب الأخرى ،فمن المعلوم أنّ القرآن الكريم لا يذكر كلمة أو يحذفها إلاّ عن مقصد وغرض،يقـــــــــول الله تعــــــــــالى:( **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى) سورة النجم آية3**

**ومن الأغراض البلاغية لمقامات الذكر في القرآن الكريم**

-الرغبة في إطالة الكلام بغية النصح والإرشاد نحو قولـــــــه تعالى:(**وَأَن** **استَغفِروا رَبَّكُم ثُمَّ توبوا إِلَيهِ يُمَتِّعكُم مَتاعًا حَسَنًا إِلى أَجَــــــلٍ مُسَمًّى وَيُؤتِ كُلَّ ذي فَضلٍ فَضلَهُ وَإِن تَوَلَّوا فَإِنّي أَخـــــــافُ عَلَيكُم عَـــــــــذابَ يَومٍ كَبير)ٍ سورة هود آية 3**

أمّا عن مصطلح الحذف فهو عكس الذكر ويقصد به:"إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل"، وهو ضرب من الإيجاز و لعبد القاهر الجرجاني فضل الحديث عن هذا الباب وإدراجه ضمن مباحث علم المعاني،حيث عقد بابا في كتابه دلائل الإعجاز سماه باب القول في الحذف استهله بقوله:"هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ،عجيب الأمر،شبيه بالسحر،فإنك ترى به ترك الذّكر،أفصح من الذكر،والصّمت عن الإفادة أزيد للفائدة،وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق،وأتم ماتكون بيانا إذا لم تُبن".

 وعدّه الباقلاني(ت403ه) من أسرار البلاغة القرآنية المعجزة فيقول::والحذف أبلغ من الذّكر "، ويعد الزمخشري (538هـ) من أشهر البلاغيين الذين اهتموا بتتبع مواضع الحذف في القرآن الكريم وعدّ ذلك من جمال وسحر البلاغة القرآنية.وأمثلة الحذف في القرآن الكريم كثيرة ومقاصدها متعددة ممن ذلك:

 يكون الحذف لغرض التّعظيم مثل قوله تعالى : (**وَقيلَ يا أَرضُ ابلَعي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقلِعي وَغيضَ الماءُ وَقُضِيَ الأَمرُ وَاستَوَت عَلَى الجودِيِّ وَقيلَ بُعدًا لِلقَومِ الظّالِمينَ) سورة هود آية 44** لم يصرح الله تعالى بأنّه القائل والآمر للأرض والسّماء واقتضى حذف ذلك لغرض التّفخيم والتّعظيم.

أو لغرض التخفيف مثل قوله تعالى: (**واسأل القرية) سورة يوسف آية 82**

ويعد الحذف نوعا من أنواع الإيجاز ، ويرى بعض البلغاء أن البلاغة تكمن في الإيجاز عكس الإطناب، وهناك من خالفهم الرأي وقال: البلاغة تكمن في الإطناب ، لكن يبقى لكل واحد منهما مقامه المناسب الذي يؤدي الغرض ، فالله عزوجل أطنب في مواضع وأجاز في مواضع وساوى في مواضع أخرى وذلك لحكمة ونكتة بلاغية.

**ثالثا :الإيجاز:**  يرى بعض البلاغيين أن سر البلاغة يكمن في الإيجاز و في وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها ، وكان خطيب العرب أكتم بن صفي يقول : "بأنّ البلاغة هي الإيجاز" وسأل معاوية عمر ابن العاص من أبلغ النّاس فقال أقلهم لفظا وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة "

والإيجاز على وجهين:

**إيجاز قصر**:هو "تضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف مثل قوله تعالى: ومن نماذجه في سورة هود قوله تعالى:( **مَثَلُ الفَريقَينِ كَالأَعمى وَالأَصَمِّ وَالبَصيرِ وَالسَّميعِ هَل يَستَوِيانِ مَثَلًا أَفَلا تَذَكَّرونَ"سورة هود الآية 24** فهذه الآية الكريمة مع قلة ألفاظها،جامعة لبيان حال أهل الكفر والإيمان في إيجاز واختصار **.**

**إيجاز حذف**:وهو مايكون بحذف شيئ من العبارة لا يحل بالفهم مع قرينة تعين المحذوف، نحو قوله تعالى : **" وَ لَم أكُ** **بَغيًا"** سورة مريم الآية20 ـ أي لم أكن. حذف حرف النون**.**

**ومن ذلك قوله تعالى:: الر كِتابٌ أُحكِمَت آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَدُن حَكيمٍ خَبير)سورة هود آية20 ،** يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية حذف المبتدأ وتقدير الكلام **،** أي هذا كتاب فقد حذف المبتدأ وكتاب خبر لهذا المبتدأ المحذوف **.**

**رابعا: الإطناب:** يقصد به:"زيادة اللفظ على المعنى لفائدة أو تأدية المعنى بعبارة زائدة لفائدة تقويته وتوكيده"، من نماذجه مايدل على بلاغته الإعجازية المقدسة التي فرضتها مقامات الكلام الالهي المعجز ،ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى:( **وَأُتبِعوا في هـذِهِ الدُّنيا لَعنَةً وَيَومَ القِيامَةِ أَلا إِنَّ عادًا كَفَروا رَبَّهُم أَلا بُعدًا لِعادٍ قَومِ هودٍ) سورة هود الآية 60**

 نلاحظ أنّ الله عزوجل قد كرر كلمة عاد لتعظيم ماقام به هؤلاء القوم ،فالتكرار لايكون إلاّ في الأمور العظيمة، ويعد هذا النوع من الإطناب من إطناب التكرار وهو من أكثر الأنواع شيوعا.

**الإطناب بالإيضاح**:ويأتي الإطناب "بالإيضاح بعد الإبهام،ليرى المعنى في صورتين مختلفتين أو ليتمكن في النفس فضل تمكن،فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح من ذلك قوله تعالى:" **:( وَما نُؤَخِّرُهُ إِلّا لِأَجَلٍ مَعدود يَومَ يَأتِ لا تَكَلَّمُ نَفسٌ إِلّا بِإِذنِهِ فَمِنهُم شَقِيٌّ وَسَعيدٌ  فَأَمَّا الَّذينَ شَقوا فَفِي النّارِ لَهُم فيها زَفيرٌ وَشَهيقٌ  خالِدينَ فيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالأَرضُ إِلّا ما شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعّالٌ لِما يُريدُ وَأَمَّا الَّذينَ سُعِدوا فَفِي الجَنَّةِ خالِدينَ فيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالأَرضُ إِلّا ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيرَ مَجذوذٍ﴾**) هود الآية 104 \_108 يلاحظ أنّ قول الله تعالى:(يوم يأت...) إلى غاية قوله تعالى:"عطاء غير مجذوذ"أنه إطناب من باب البيان والإيضاح لقوله تعالى(ومانؤخره لأجل معدود).

**خامسا: المساواة:** هي التي تجمع بين الإثنين-الإطناب والإيجاز-ويقصد بها"تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له،بأن تكون المعاني بقدر الألفاظ،والألفاظ بقدر المعاني"

نحو قوله تعالى **:" وهَل جَزاءُ الإحسان إلاّ الإحسَان** " سورة الرحمان الآية60

**سادسا: الالتفات** :الالتفات في اللغة من لفت وجهه عن القوم صرفه،والتفت إليه صرف وجهه إليه،ويقال:لفت فلان عن رأيه،أي صرفته عنه، أمّا اصطلاحا:"الالتفات هو نقل الكلام من حالة التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى حالة أخرى لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتأمل"، أو هو الانتقال من ضمير إلى ضمير كأن ينتقل من ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب أو الغائب ، ويكون هذا الانتقال لغرض والذي يكون في أغلب الأحيان لدفع الملل عن السامع من خلال الانتقال من أسلوب إلى أسلوب ومرات يكون لأغراض تفهم من سياق الكلام.

ويسمى أيضا العدول أو الانحراف والانصراف.

وقد تنبه البلاغيون منذ بواكير الدّراسات البلاغية إلى هذا اللون البلاغي،وكانت أولى بوادره في الدّراسات التّفسيرية للقرآن الكريم،حيث وقف جل البلاغيين والمفسرين على مواطن الالتفات في القرآن الكريمولعل أول إشارة له كانت من قبل الفراء(ت207ه)في كتابه معاني القرآن ،حيث أشار إليه على ضوء بعض الآيات الكريمة،مثل تفسيره لقوله تعالى**:. سورة يونس الآية 22 (حَتّى إِذا كُنتُم فِي الفُلكِ وَجَرَينَ بِهِم بِريحٍ طَيِّبَةٍ)**

والالتفات من الأساليب التي تحدث في النظم بلاغة ودقة وجمالا ، وتحرك المشاعر وتبعث على التفكير والتأمل وخصوصا لما يكون ذلك في الأسوب القرآني منها:

**- التفات من التكلم إلى الخطاب**:قال الله تعالى:( **ومَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) سورة يس 22 انتقل من نصح نفسه إلى نصح قومه لذلك انتقل من ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب**

-**الالتفات من الخطاب إلى التكلم**:نحو قوله تعالى:( **وَاستَغفِروا رَبَّكُم ثُمَّ توبوا إِلَيهِ إِنَّ رَبّي رَحيمٌ وَدودٌ""** الغرض منه بيان رحمة ولطف الله بعباده المستغفرين التائبين **،** كما أراد الله عزوجل من هذا الالتفات إلى بيان اختصاصه بالرحمة والود

-**الالتفات من المتكلم إلى الغائب ( فَلَمّا جاءَ أَمرُنا نَجَّينا صالِحًا وَالَّذينَ آمَنوا مَعَهُ بِرَحمَةٍ مِنّا وَمِن خِزيِ يَومِئِذٍ)الغرض من ذلك أن أمر الله عزوجل بالعذاب اختص أو استثنى الذين أمنوا .**

**-الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:مثل قوله تعالى:( حَتّى إِذا كُنتُم فِي الفُلكِ وَجَرَينَ بِهِم بِريحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحوا بِها جاءَتها ريحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمُ المَوجُ مِن كُلِّ مَكانٍ) سورة يونس22 انصرف من ضمير المخاطب إلى الغائب لاختصاص هؤلاء الكافرين بالذم ولو أبقى على ضمير المخاطب للزم الذم بالجميع.**

**-الالتفات من الغائب إلى المخاطب: نحو قوله تعالى: (وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحمـنُ وَلَدًاً لَقَد جِئتُم شَيئًا إِدًّا) سورة مريم 88 -89 انتقل من الغائب إلى المخاطب لغرض التوبيخ**

 وخلاصة القول فإنّ أسلوب الالتفات من أهم الأساليب البلاغية وخصوصا إذا ارتبطت هذه البلاغة بالقرآن الكريم مما يعطيها سرا إعجازيا تكمن فائدته في التفنن ونقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرارا للسامع،وتجديدا لنشاطه وحفظا لخاطره من الملل والضجر إذا استمر الأسلوب الواحد.

**مباحث البلاغة القرآنية في علم البيان**

البيان اسم جامع لكل شيئ يكشف لك القناع وهتك الحجاب دون الضمير،حتى يفضي السامع إلى حقيقته،ويهجم على محصوله كائنا ماكان ذلك البيان،ومن أي جنس كان الدليل،لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام،فبأي شيئ بلغت الإفهام أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع.

أما علم البيان: :"أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق تختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى"

وموضوع علم البيان القرآني يختص بتلك الألفاظ القرآنية المتمثلة في التشبيه ،المجاز،الاستعارة،والكناية. وتعود بوادر هذا العلم إلى أبي عبيد معمر بن مثنى(ت210ه)الذي دوّن مسائله في كتابه المسمى"بمجاز القرآن"

وسنحاول أن نقف فقط مع مبحث واحد من مباحث علم البيان وهو مبحث المجاز اختصارا للمقام

**المجاز في القرآن الكريم:** المجاز في اللغة من جوز،جزت الطريق،وجاز الموضع جوازا ومجازا:سار فيه وسلكه،وجاوزت الموضع جوازا بمعنى جزته،والمجاز والمجازة الموضع.

 أمّا عن معناها في القرآن الكريم ،نجد قوله تعالى:( **فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) سورة البقرة آية 249**أي تجاوز جوزه وجميع ما ورد من لفظ جوز في القرآن يعني المكان ذهبت فيه.

 أما اصطلاحا:"فالمجاز اسم للمكان الذي يجاز فيه...وحقيقته هي الانتقال من مكان إلى آخر"

 ثمّ أخذ هذا المعنى واستعمل في اصطلاح البلاغيين للدلالة على:"اللفظ المستعمل في غير ماوضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي."

 وقد جعل البلاغيون المجاز في مقابل الحقيقة،فإذا كان المجاز: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له فالحقيقة هي:"الكلمة المستعملة فيما وضعت له."

 ومما ينبغي التنويه إليه في هذا المقام أن كلا منهما سواء الحقيقة أوالمجاز لهما أثر بلاغي في أداء المعنى،فالحقيقة إذا وضعت في مقامها أدت بلاغة وبيانا،أما إذا تطلب المقام مجازا فإن البلاغة حينها تكون في المجاز.

 وبناء على هذا فإنّ "الحقيقة والمجاز وسيلتان من وسائل التعبير لا تغني إحداهما عن الأخرى في نقل المعنى أو رسم الصورة،فها هو القرآن الكريم حافل بأساليب الحقيقة،وفنون المجاز جنبا إلى جنب.

 فقد حظيت النصوص القرآنية بالكثير من التعابير المجازية،وذلك لأغراض وأسرار إعجازية بلاغية تنبه إليها المفسرون والبلاغيون في حقبة مبكرة من الزمن،وإن أنكر البعض القول بالمجاز في القرآن الكريم[[1]](#footnote-1)،مبررين بذلك رأيهم في أنه"من الأولى أن يعبر القرآن عن أهدافه تعبيرا مباشرا بدلا من هذا التجوز المهم في الدلالة،وإذا كان من المعلوم أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير ،وهذا مستحيل على الله سبحانه وتعالى فهو الذي لا يعجزه شيئ-من ذلك.

 غير أنّ هذا الرأي-باتفاق جمهور البلاغييين-باطل ولو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف،وتثنية القصص وغيره،ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن".

 ولعل أول إشارة للمجاز في القرآن الكريم كانت من قبل أبي عبيدة معمر بن المثنى(ت210ه)حيث ألف في ذلك كتابا سماه مجاز القرآن،غير أنّه استعمله بدلالة مغايرة عن المعنى البلاغي المتداول عليه،فلم يكن عنده مفهوم المجاز الذي هو بخلاف الحقيقة،بل كان مراده منه هو التوصل إلى فهم المعاني القرآنية وإبانتها وتفسيرها

 ويذهب معظم الدارسين إلى أنّ الجاحظ(ت255ه)"أول باحث يعد المجاز مقابلا للحقيقة-بالمعنى المعروف الآن-وليس بمعنى التفسير-كأبي عبيدة-وقد كانت دراسة الجاحظ للمجاز صورة صادقة للبحوث المعتزلة،فقد اختلف مع أهل الظاهر وأصحاب الحديث في المجاز،وخاض معهم بسببه المعارك،واتهمهم بالنقض في الإدراك وعدم الفهم،وقصر الإلمام بدقائق الأسلوب القرآني."

 فقد عقد الجاحظ في كتابه الحيوان بابا سماه"باب آخر في المجاز والتّشبيه"،وقدم عن ذلك أمثلة عن المجاز في القرآن الكريم،من ذلك قوله تعالى:( **إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ) سورة النساء الآية10 ،**فقد قال عن هذه الآية الكريمة"وهذا مجاز"

والمجاز حسب دراسات البلاغيين المتأخرين:

1. **مجاز لغوي** يقوم على علاقة المشابهة ويتمثل ذلك في **الاستعارة** فهي استعارة اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه و المعنى المستعمل فيه ، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي،وهي نوعان: **مكنية** وهي ما حذف فيه المشبه به ورمز له بإحدى لوازمه ليدل عليه كقوله تعالى: (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) سورة مريم آية 4 في الآية الكريمة مجاز يتجلى في عبارة " اشتعل الرأس شيبا " حيث شبّه الرّأس بالشيء الذي يشتعل كالحطب و الوقود ، ثم حذف المشبه به ورمز له بإحدى لوازمه وهي " اشتعل "

 **وتصريحية:** هي ما صرح فيه بلفظ المشبه به وحذف المشبه كقوله تعالى: **(الر كِتابٌ أَنزَلناهُ إِلَيكَ لِتُخرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النّورِ) سورة ابراهيم آية1** ففي كلمة الظلمات والنور مجاز ، فالمقصود بالظلمات في الآية الكريمة الظلال و بالنور الإيمان والهدى ، فاستعيرت الظلمات للضلال لأن كلاهما لا يهتدي صاحبهما إلى الطريق الصحيح والمسلك الصائب ، وكذلك أستعير لفظ النور للإيمان لشبههما في الهداية ، فقد حذف المشبه الظلال والهدى وصرح المشبه به الظلمات و النور

**ب المجاز الإفرادي:** ومنهالمرسل وهو: الكلمة المستعملة قصدا في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الوضعي".

و العقلي أو الإسنادي التركيبي وهو" هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له بعلاقة مع قرينة مانعة من إيراده الإسناد الحقيقي"

علاقات المجاز المرسل: السّببية ، المسببية، الكلية، الجزئية، الحالية، المحلية، اعتبار ماكان، اعتبار ماسيكون، الآلية.

علاقات المجاز العقلي ":السّببية، المكانية ، الزّمانية، الفاعلية، المفعولية، المصدرية

**مباحث البلاغة القرآنية في علم البديع:**سنقف على بعضها على سبيل المثال لا الحصر

**أولا: الائتلاف:** ويسميه البلاغيون أيضا كالخطيب القزويني بمراعاة النظير فيقول:"ومنه مراعاة النظير وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضا،وهي أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد".

 كما سماه أيضا بتشابه الأطراف فقال:"ما يسميه بعضهم تشابه الأطراف وهو أن يتم الكلام بما يناسب أوله في المعنى".

 والائتلاف البديعي أنواع وأصناف مختلفة،وما يندرج تحت المحسنات المعنوية هو ائتلاف المعنى مع المعنى أو ائتلاف اللفظ مع المعنى وائتلاف اللفظ مع المعنى سمة للقرآن كله"،حيث أتى في منتهى حسن الجوار والتّآلف والتّناسب،وذلك ببساطة لأنهّ كلام الله عز وجل المعجز.

 ومن أمثلة ذلك ما نقله الزّمخشري في الكشاف حيث فسّر قوله تعالى:( **فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)سورة البقرة آية 209**

 قال "روي أن قارئا قرأ(غفور رحيم)فسمعه أعرابي فأنكره،ولم يقرأ القرآن وقال:إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم،لا يذكر الغفران عند الزلل،لأنه إغراء عليه."

 يلاحظ من هذا أنّ كلمة(غفور رحيم)تليق بمقام الإغراء وبالتّالي هي غير مناسبة لمقام التّحذير والمناسب ما قاله تعالى:(إن الله عزيز حكيم).

وأيضا قوله تعالى:" **لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصارَ وَهُوَ اللَّطيفُ الخَبيرُ"سورة الأنعام آية 103**

يعلق الخطيب القزويني في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة على هذه الآية الكريمة بقوله:فإنّ اللطف يناسب مالايدرك بالبصر، والخبرة تناسب من يدرك شيئا،فإنّ من يدرك شيئا يكون خبيرا به".

وهذا الائتلاف هو مايسمى في علوم القرآن **"علم المناسبة"** ويعد من أهم علوم القرآن الكريم حيث أولى له العلماء عناية فائقة وذلك لكشف الستار عن ذلك السر الإعجازي الذي أودعه الله عزوجل في تناسب آي القرآن الكريم.

 وقد قدّم الإمام الزرّكشي تعريفا جامعا مانعا لمفهوم المناسبة في اللغة والاصطلاح حيث يقول:"واعلم أنّ المناسبة علم شريف،تحرز به العقول،ويعرف به قدر القائل فيما يقول،والمناسبة في اللغة:المقاربة،وفلان يناسب فلان،أي يقرب منه ويشاكله،ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل...وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض،فيقوى بذلك الارتباط،ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء."

 يظهر من تعريف الزّركشي أنّ المناسبة في اللغة تعني الاتصال والارتباط والمقاربة. أمّا اصطلاحا فهي علم يبين وجه الارتباط والتّرتيب في القرآن الكريم

و يعود تأسيس هذا العلم إلى الشيخ أبو بكر النيسابوري(ت324ه) حيث كان يقول:"إذا قرئ عليه الآية:لم جعلت هذه الآية على جنب هذه،وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة،وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة."

 ثمّ أقبل من بعده العلماء باحثين عن سر التناسب في القرآن الكريم،وإن قلّ عددهم حسب ماقاله الإمام الزركشي:"وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي(606ه) وقال في تفسيره \_" مفاتيح الغيب والتفسير الكبير"\_أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط".

ولعل من أشهر من كتب في هذا العلم برهان الدين البقاعي(880ه) في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور يقول:علم مناسبات القرآن علم تعرف به علل ترتيب أجزائه وهو سر البلاغة لأدائه مطابقة المعاني لمقتضى الحال"

كما ألف الإمام السّيوطي في علم المناسبة كتابه تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور وعده وجها من وجوه الإعجاز القرآني،حيث قال بأنّ"الوجه الرابع من وجوه إعجازه مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض،حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني."

**إئتلاف اللفظ مع اللفظ:**هو الصنف الثّاني من الائتلاف،وهو كون ألفاظ العبارة من واد واحد في الغرابة والتأمل، أي توافق وائتلاف في الحروف والكلمات بعضها يناسب بعضا لاتنافر فيما بينها (**وسبق وأن أشرنا إلى ذلك في خصائص الأسلوب القرآني في تخير الحروف والألفاظ).**

**ثانيا:الفاصلة**:هي في اللغة من فصل،والفصل:البون بين الشيئين،والفصل من الجسد موضع المفصل، أمّا اصطلاحا:"الفاصلة هي كلمة آخر الجملة،وهي بالنسبة للآية كقافية الشعر وقرينة السجع"، أو هي "اللفظ الذي ختمت له الآية القرآنية"

 فالفاصلة القرآنية هي"ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية"مما ينتج عنه إيقاعا موسيقيا خلابا يطرب السامعين،ويؤثر في نفوسهم تأثيرا بالغا.

 ولعل من أهم القضايا الحساسة التي طرحت في الدّراسات البلاغية القرآنية قضية نظم الفواصل في القرآن الكريم وعلاقتها بالسجع،حيث إنّ أغلب البلاغيين وعلماء الإعجاز نفوا السّجع عن القرآن وحبذوا مصطلح الفاصلة القرآنية، حيث نجد الرماني(ت386ه)يقول:"الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعنى،والفواصل بلاغة،والأسجاع عيب،وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها"، وعقد الباقلاني(ت403ه)فصلا في كتابه"إعجاز القرآن"سماه"في نفي السجع من القرآن" ،ويبرر الباقلاني موقفه في نفي السجع عن القرآن بقوله:"ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم،ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز."

 وإن كانت الفاصلة القرآنية"هي كلمة آخر الآية،كقافية الشعر وقرينة السجع".إلا أن الفرق واضح بين شعر العرب وأسجاعهم وفواصل القرآن،يقول الرماني عن هذا"وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ،لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليه،وإنما أخذ السجع في الكلام من سجع الحمامة،وذلك لأنه ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة"

 وخلاصة ما نستنتجه نحن من هذا هو أن علماء الإعجاز تواضعوا على تسميته خواتم كلمات الآيات القرآنية بالفواصل ولا ينبغ تسميتها بالسجع

 وفي ذات المعنى يذهب سيد قطب إلى القول بأنّ منبع السحر في القرآن الكريم يعود إلى ترابط فواصله وتناسقها تناسقا دقيقا.

 هذا التّناسق الذي جعل من القرآن الكريم نصا بلاغيا متفردا"ليس على أعاريض الشعر في رجزه ولا في قصيده،وليس على سنن النثر المعروف في إرساله ولا في تسجيعه،إذ هو لا يلتزم الموازين المعهودة في هذا ولا ذاك ولكنك مع ذلك تقرأ بضع آيات منه فتقشعر بتوقيع موزون ينبعث من تتابع آياته"ولعل الشرف في هذا التناسق الفني الذي تفرد به كتاب الله تعالى يعود إلى فواصله،يقول عن هذا الزركشي بأن الفاصلة القرآنية"هي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام." مثال قوله تعالى:( **قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ ، اللَّـهُ الصَّمَدُ،  لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ.)** سورة الإخلاص فحرف الدال في نهاية كل آية هو الذي حقق التوافق بين جميع الآيات وجعل لذلك جرسا تطرب له النفوس وهذا ماينتج عنه إعجاز تأثيري إذ بمجرد سماعك للقرآن الكريم تستسيغه نفسك وتستأنس به مسامعك. وماهذا إلا مثال من باقي أمثلة القرآن الكريم.

1. أصحاب المذهب الظاهري أمثال:داود بن علي الأصبهاني،وابن القاص وغيرهم من الظاهريين هم الذين قالوا بعدم وجود المجاز. [↑](#footnote-ref-1)